

تفسير البحر المحيط

@ 355 بالنون . { وَ مَآ وَ جَدَّ نَا لَ كَثْرَهُمْ مِّنْ عَهْدٍ } أي لأكثر الناس أو أهل القرى أو الأمم الماضية احتمالات ثلاثة قاله التبريزي والعهد هنا هو الذي عاهدوا عليه في صلب آدم قاله أبيّ وابن عباس أو الإيمان قاله ابن مسعود ويدلّ عليه الأمن اتخذ عند □ عهداً وهو لا إله إلا □ فالمعنى من إيفاء أو التزام عهد ، وقيل العهد هو وضع الأدلة على صحة التوحيد والنبوة إذ ذلك عهد في رقاب العقلاء كالعقود فعبر عن صرف عقولهم إلى النظر في ذلك بانتفاء وجدان العهد و { مِّنْ } في { مِّنْ عَاهَدَ } زائدة تدلّ على الاستغراق لجنس العهد . { وَ إِنْ وَ جَدَّ نَا أَ كَثْرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } إن هنا هي المخففة من الثقيلة ووجد بمعنى علم ومفعول { وَ جَدَّ نَا } الأولى { لَ كَثْرَهُمْ } ومفعول الثانية { لَفَاسِقِينَ } واللام للفرق بين إن المخففة من الثقيلة وإن النافية وتقدّم الكلام على ذلك في قوله { وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً } ودعوى بعض الكوفيين أنّ إن في نحو هذا التركيب هي النافية واللام بمعنى إلا ، وقال الزمخشري : وإنّ الشان والحديث وجدنا انتهى ، ولا يحتاج إلى هذا التقدير وكان الزمخشري يزعم أنّ إن إذا خفت كان محذوفاً منها الاسم وهو الشان والحديث إبقاءً لها على الاختصاص بالدخول على الأسماء وقد تقدّم لنا تقدير نظير ذلك وردنا عليه . .

{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِمْ مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } لما قصّ □ تعالى على نبيه أخبار نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما آل إليه أمر قومهم وكان هؤلاء لم يبق منهم أحد أتبع بقصص موسى وفرعون وبني إسرائيل إذ كانت معجزاته من أعظم المعجزات وأتمته من أكثر الأمم تكذيباً وتعنتاً واقتراحاً وجهلاً وكان قد بقي من اتباعه عالم وهم اليهود فقصّ □ علينا قصصهم لنعبر ونتعظ وننجز عن أن نتشبه بهم ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّ بين موسى وشعيب عليهما السلام ماهرة كما حكى □ في كتابه ونسب لكونهما من نسل إبراهيم ولما استفتح قصة نوح { * بأرسلنا } بنون العظمة أتبع ذلك قصة موسى فقال : { الْمُنْذَرِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا } والضمير في { مِّنْ بَعْدِهِمْ } عائد على الرسل من قوله و { لَقَدْ } * جاءتهم رسلهم بالبينات } أو للأمم السابقة والآيات الحجج التي آتاه □ على قومه أو الآيات التسع أو التوراة أقوال وتعدية فظلموا بالباء إما على سبيل التضمين بمعنى كفروا بها ألا ترى إلى قوله { إِنْ الشُّرُكَ لَطُلُمٌ عَظِيمٌ } وإما أن تكون الباء سببية أي ظلموا أنفسهم بسببها أو الناس حيث صدوهم عن

الإيمان أو الرسول فقالوا سحر وتمويه أقوال ، وقال الأصم : ظلموا تلك النعم التي آتاهم
[] بأن استعانوا بها على معصية [] تعالى فانظرو أيها السامع ما آل إليه أمر المفسدين
الظالمين جعلهم مثالاً توعد به كفره عصر الرسول عليه السلام . .

{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ * فِرْعَوْنُ * إِنْ نَزَىٰ * رَسُولٌ مِّن رَّبِّ

الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ - قَدْ

جِئْتُكُمْ * بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ * فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } هذه

محاورة من موسى عليه السلام لفرعون وخطاب له بأحسن ما يدعى به وأحدها إليه إذ كان من
ملك مصر يقال له فرعون كمنرود في يونان ، وقيصر في الروم ، وكسرى في فارس ، والنجاشي
في الحبشة وعلى هذا لا يكون فرعون وأمثاله علماً شخصياً بل يكون علم جنس كأسامة وثعالة

ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى بقوله : { إِنْ نَزَىٰ * رَسُولٌ مِّن رَّبِّ

الْعَالَمِينَ } لينبئه على الوصف الذي ادعاه وأنه فيه مبطل لا محق ولما كان قوله {

حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ - } أردفها بما يدل على

صحتها وهو قوله { قَدْ جِئْتُكُمْ } ولما قرر رسالته فرع عليها تبليغ الحكم وهو قوله {

فَأَرْسِلْ } ولم ينازعه فرعون في هذه السورة في شيء مما ذكره موسى إلا أنه طلب المعجزة

ودل